في الترجمة والاصطلاح

مصطلح "السنة السباعية" نموذجا

أحمد الفوحي

تتداول الأوساط الجامعية مصطلح "**السنة السباعية**"، للتعبير عن سنة التفرغ للبحث التي جاء بها المرسوم رقم 793. 96. 2 الصادر في 11 شوال 1417 (19 فبراير 1997) في شأن النظام الأساسي الخاص بهيئة الأساتذة الباحثين بالتعليم العالي، الذي ينص في المادة السادسة منه على استفادة الأساتذة الباحثين " الذين زاولوا مهامهم لمدة سبع سنوات متتالية من إجازة لأجل البحث...لمدة سنة جامعية..". ومما هو معلوم بالضرورة لدى المشتغلين بالترجمة والاصطلاح أن المصطلح مرتبط بالمفهوم الذي وضع له ارتباطا وثيق الصلة، تقتضي الحالة المثلى أن تكون العلاقة بينهما في الدلالة علاقة أحادية؛ متى ما ذُكر المصطلح المعين التُفت إلى معناه من غير لَبس ولا إبهام. فلا مجال للاشتراك ولا للتعدد؛ ولا سبيل إلى دلالة المصطلح الواحد على مفاهيم متعددة. ومن المعلوم أيضا أن كل لغة طبيعية تسمي العالم بطريقتها ووسائلها الخاصة؛ وأنها هي التي تحدد طريقة إدراك العالم وثقافة كل شعب (وورف–سابير). ف " كل لغة تلتقط التجربة الخارجية بوسائلها الخاصة، وتبني نظامها التصوري الخاص الذي يضع علائق مفاهيمية معينة بين المفردات الموجودة "[1]. فإذا كان العالم الخارجي (الفيزيقي) هو هو، فإنه عوالم بالنظر إلى اختلاف ثقافات الشعوب وتعدد لغاتها. ولما كان التواصل من الضرورات الإنسانية، لاضطرار الإنسان إلى المجاورة والمحاورة (ابن سينا والفارابي والحكمة من وجود اللغة)، وكان تعدد اللغات عائقا دون حصول الاتصال والإفهام بين الآدميين، كانت الترجمة وسيلة التواصل المثلى بين اللغات. وفيها يتم الانتقال من ملفوظات اللغة الأولى إلى ملفوظات اللغة الثانية عبر مرحلة وسطى، هي المرحلة التي يتم فيها تجريد العلامات من الدوال والاحتفاظ بالمدلولات ثم النظر في إمكان إقامة ما يمكن إقامته من مناسبات بعد معاينة الحقول الدلالية في اللغتين معا[2] . فالمترجم لا يقوم بوضع لفظ في مقابل لفظ دونما استحضار ثقافة اللغتين واختلافهما في كيفية إدراك العالم، وإنما يكون

همه منصبا على إيجاد المناسبات وإقامة المعادلات. والمعادلات، وبخاصة المعادلات المعجمية، أمر لا مناص منه في عملية الترجمة[3].

والمصطلح لا يخلو من "شحنة ثقافية" وله "حكاية وتاريخ"، ويختزل قصة أو نظرة معينة إلى الواقعة أو القضية التي وضع للتعبير عنها. فهل كان الاصطلاح على سنة الإجازة للبحث واستكمال الخبرة ب"**السنة السباعية**" اصطلاحا دقيقا روعي فيه ما تقدم من ضوابط ومعايير في الترجمة والاصطلاح، واختيارا موفقا راعى خصوصية اللغة الثانية وثقافتها وكيفية تسميتها للعالم وطريقة تمكينها متكلميها من إدراك الأشياء وعكس التجربة الحياتية؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي، من بين ما تقتضيه، الوقوف عند هذا المصطلح وتمحيصه والبحث في دلالة لفظه العامة قبل الانتقال إلى الدلالة الخاصة، وإمكان ارتباطه بالمفهوم الذي وضع له؛ ثم النظر إلى "قصة" هذا المفهوم وكيف وجد، حتى يتيسر لنا الإقرار به أو رده والبحث عن مصطلح آخر يكون أقرب إلى التعبير عن هذا المفهوم تعبيرا دقيقا أو قريبا من الدقة. فما العلاقة بين المادة (س ب ع) ومشتقاتها وبين مفهوم الاستراحة والانقطاع عن عمل معين؟

جاء في لسان العرب: "وقد تكرر ذكر السبعة والسبْع والسبعين والسبعمائة في القرآن وفي الحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير...كقوله تعالى: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم"* ...وسبَع القوم يسبَعهم، بالفتح، سبعا: صار سابعهم. والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع..ولكن المعنى إن استكثرت من الدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم.. وقولهم: هو سُباعي البدن أي تام البدن. والسباعي من الجمال: العظيم الطويل"[4]. كما يمكن أن نلحق بمعاني هذه المادة ما له علاقة بالعدد سبعة؛ فالأسبوع دورة الفلك الصغرى في سبعة أيام، والسابع ما انتظم مع ستة فأعطانا سبعة، والسباعي ما كان قابل القسمة على سبعة والتضعيف إليها، كسباعي الأضلاع في الهندسة مثلا. فما صلة هذه المادة بمعنى الراحة والانقطاع؟ وهل أصاب العربيةَ العقمُ حتى قصُرت دون إيجاد المصطلح المناسب للتعبير عن هذه القضية؟

وأما قصة هذا المفهوم فمرتبطة ببداية الخلق، والمدة الزمنية التي استغرقها خلق السماوات والأرض. فالكتب السماوية تجمع على أن عملية الخلق استغرقت ستة أيام. ووقع الخلاف في اليوم السابع. جاء في الكتاب المقدس: "فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله"[5]. فاعتقد الكتابيون أن الرب تعب فاستراح، فجعلوا

لهم يوما للاستراحة والعبادة، سموه يوم الرب le jour du seigneur، وجعلوه يوم السبت: "اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك. أما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلاهك، فلا تقم فيه بأي عمل"[6]. وهم في هذا شبهوا الخالق بالمخلوق الذي يشغل الأحياز ويحله الضعف والقوة؛ أي ما يعرف في ثقافة الإسلام والعربية بالتجسيم والتشبيه[7]. وقد رد القرآن على هذا الزعم بنفي التعب وطلب الراحة في حق الخالق تعالى: "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لُغوب"[8]، واللغوب التعب والإعياء. كما أنه خلد فكرة انقطاع أهل الكتاب، عن العمل الدنيوي والتفرغ للعبادة، في قوله تعالى: "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرّعا، ويوم لا يسبِتون لا تأتيهم"[9]، وفي قوله: "إنما جُعِل السبت على الذين اختلفوا فيه" [10]، وفي آيات أُخَر. وقد جاءت مادة (س ب ت) مصرَّفة إلى الاسم والفعل. ومما اشتق منها لفظ السبات: "و جعلنا نومكم سُباتا"[11]، جاء في تفسير القرطبي :"سباتا أي راحة لأبدانكم، ومنه يوم السبت أي يوم الراحة...وكأنه إذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال"[12]. فالسبت، إذن، مرتبط بفكرة الراحة والانقطاع عن العمل. وهو المعنى الذي نجده في تراث العربية؛ فهذا عروة بن الورد، أحد الشعراء الصعاليك ، يستعمل اسم الفاعل من مادة السبت في قوله[13]:

ومُستسبِت في مالك العام إنني أراك على أقتاد صرماءَ مذكر؟

في رواية مستسبت بدل مستنبت أو مستثبت. وقد جاء هذا البيت بعد قوله على لسان زوجته التي لامته وأنكرت عليه عدمَ الخروج للغارة والغزو والمكوثَ في المنزل:

تقول لك الويلات هل أنتَ تاركٌ ضُبوءا برَجْل تارةً وبمَنسِر

وما كان للزوجة أن تعاتب بعلها لو لم يمكث بجنبها متخليا عن دوره في توفير حاجات البيت والأهل من الزاد. وإذا بحثنا في المعاجم الحديثة وجدنا للسبت نفس المعنى. ففي المعجم الوسيط، نجد في حرف السين: سبَت سبْتا نام واستراح وسكن..ودخل في يوم السبت. واليهود قامت بأمر سبتها، وهو انقطاعهم عن المعيشة والاكتساب...والسُبات الراحة[14].

وقد أخذت اللغات الحديثة نفس المادة من العبرية (الشاباط) وأدمجتها في معجمها، كما هو الشأن بالنسبة إلى الفرنسية والإنجليزية مثلا. ففي معجم كازيميرسكي العربي الفرنسي نجد مادة السبت بنفس المعنى اللغوي والاصطلاحي[15]. ومما نجده في معجم إلياس الإنجليزي العربي:

- sabbatic year سنة سبتية، السنة السابعة.
- sabbatize سبّت، أسبت، دخل في السبت، قام بأمر السبت، استراح من عمله.

– sabbath اليوم الديني المخصص للراحة[16].

فمما تقدم لا نجد مناسبة بين مصطلح "**السنة السباعية**" والمفهوم المعبر عنه به. هذا مع العلم أن المفهوم مُتصوَّر في تاريخ العربية وثقافتها ومُعبَّر عنه في نصوصها وحياتها بمصطلح ملائم يغطي المساحة نفسها التي يغطيها مصطلح année sabbatique المتداول لدى الأوساط الجامعية المفرنَسة. وعليه كان الأجدر والأجدى تسمية هذا المفهوم وتحديده بمصطلح **السَنَة السبتية** أو **سَنَة الاستسبات**. وأما مصطلح السنة السباعية فبعيد كل البعد عن هذا المفهوم.

ومن هنا نتبيَّن أن قضية المصطلح إحدى قضايا الترجمة الأساس، وأن ربط كل الصعوبات به إنما هو من حيل العاجزين. فلم نسمع عن المتقدمين أنه كان حائلا دون نقل الفكر الأجنبي وترجمته إلى العربية. فقبل الانتهاء إلى الشعرية استعملت العربية البُوَيْطيقا، وقبل المقولات كان مصطلح قاطيغورياس الخ. فالمسألة مسألة تمثل وإدراك الفكر الأجنبي في ثقافته وبيئته، قبل نقله إلى العربية. ثم إنها مسألة تمثل العربية، وإدراك أسرارها، وسبر أغوارها، وتتبع حياتها منذ أن دخلت التاريخ حتى يومنا الذي نحن فيه.

الهوامش:

1– عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ج.2، ص.228. دار توبقال، ط.1 ،1985، الدار البيضاء.

2– المرجع السابق، ص. 232.

3– Christine BAGGE : Equivalence lexicale et traduction, méta, vol.35, n° 1,1990, p.63.

* سورة التوبة، آية 81. 4– المجلد الثامن، باب العين، فصل السين المهملة، ص. 145 ...دار صادر، بيروت، 1992.

5– سفر التكوين، الإصحاح الثاني، 1–3. 6– سفر الخروج، 20.

7– ينظر ابن جني، الخصائص، ج.3، باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية، ص. 345 وما بعدها.

8– سورة ق، آية 38. 9– سورة الأعراف، آية 163. 10– سورة النحل، آية 124. 11– سورة النبأ، آية 9.

12– الجامع لأحكام القرآن، المجلد 10، الجزء 19، ص. 112. دار الكتب العلمية، بيروت، ط.5، 1996.

13– ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 1، 1994.

14– المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمدن دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط. 2، 1972.

15 – A. De B. KAZIMIRSKY :Dictionnaire r arabe-français, tome 1 p. 1040, Paris Maisonneuve,1860.

16– قاموس إلياس العصري، إنجليزي–عربي، تأليف أنطوان إلياس وإدوار إلياس، دار الجيل، بيروت، 1986.